

الشعر الإسلامي ومحاور الإبداع الشعري

- ✽ المبحث الأول: مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى.
- ✽ المبحث الثاني: كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام.
- ✽ المبحث الثالث: استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد لتحرير الأرض المقدسة.

oboi.kandi.com

المبحث الأول

مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى

لقد سبق تفصيل الحديث في مكانة فلسطين وقداسة أرضها، والأحداث الجسام التي مرتّ بها هذه البقعة المقدسة^(١).

وأجمل هذه المتزلة فيما يأتي:

- بعث الله -جلّ وعلا- في هذه الأرض كثيراً من الأنبياء عليهم السلام.
- تضم هذه الأرض مدينة القدس ذات المكانة المتميزة في عقيدة المسلم.
- وأول قبلة توجه إليها المسلمون.
- فيها المسجد الأقصى منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام، وهو ثالث المسجدين الشريفين التي لا تشد الرحال إلا إليها.
- وصف الله هذه الأرض بصفات الطهر والقداسة والبركة في مواضع عديدة من القرآن الكريم.
- وقد أطلقت أهمية هذه البقعة المقدسة مواجد الشعراء الإسلاميين، مغترفين من هذا المعين الثرّ. فتحدثوا في ثنايا قصائدهم عما تكنّه نفوسهم من إجلال لهذه الديار المقدسة.

(١) انظر المبحث الأول من الفصل الأول.

فهذا الشاعر خالد البيطار^(١) يجليّ حادثة الإسراء والمعراج فيقول^(٢):

فهل النجومُ الزهرُ تذكُرُ ليلةً	فيها تجلّى موكبُ المختارِ؟
لما سرى من بيتِه في مكة	للقُدسِ أرضِ النخبةِ الأطهارِ
ورأى هناك الأنبياءَ وأمَّهُم	وتلاقَتِ الأنوارُ بالأنوارِ
سبحان من أسرى به في ليلة	غراء رمزِ النورِ والإسفارِ
هي للذين نسوا وتاهوا عبْرَةً	ولجاهلين الدربَ خيرُ منارِ
فيها عروجُ المصطفى عبرَ السّما	ولقاؤه بالنخبةِ الأبرارِ
أنعم بها من ليلةٍ كانت على	مرّ الزمانِ منارةَ التذكّارِ

تبين في الأبيات الصورة الجليّة لهذه الليلة المباركة التي تمّ فيها الإسراء والمعراج. حين أمّ المصطفى ﷺ أنبياء الله، ثم عُرج به إلى السماء. فكانت هذه المعجزة الغيبية منارة على مرّ الزمان.

أما الشاعر عمر الأميري فيبرز مكانة فلسطين في قوله^(٣):

((فلسطين)) يا آيةَ الله في الـ	وجودِ ويا روضةً من سناء
مقامٍ ((الخليل)) وعزّ المقام	وجلّ ((الخليل)) أبو الأنبياء

(١) خالد البيطار: ولد في حمص عام ١٩٤٢م، نشأ ودرس في موطن ولادته ثم انتقل إلى دمشق وحصل على شهادة أهلية التعليم الابتدائي ثم عمل في حقل التعليم في حمص، وحصل على الشهادة الجامعية من دمشق وعمل في التدريس في حلب وحمص، ثم انتقل للعمل في الأردن، وله ديوانان مطبوعان، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٢١٦.

(٢) أشواق وأحلام: ٣٨-٣٩.

(٣) من وحي فلسطين: ١٤.

وحضنُ ((البتول)) ومحراؤها ومهدُ ((المسيح)) صفى السماء
ومسرى رسول هدى العالمين ومعراجهُ الفذّ يعلو العلاء
ليحظى بأسمى وأعلى ذرا وأسنى وأدنى وأرقى لقاء
فلسطينُ يا عروةً بين ((مكة —)) و((القدس)) خالدةً من مضاء
وعهداً من الله في عنق كل أبيّ، وأعظم بعهد الإباء
وديناً على كل حرّ وفي يروى ثراك بحر الدماء

إنها فلسطين مهد الخليل أبي الأنبياء، ومهد مريم البتول وابنها المسيح عليهما السلام، وأرض الإسراء والمعراج. ويبرز الشاعر رباط القدسية الذي ربط بين مكة والقدس فكلاهما مهد المقدسات وسفر التاريخ الإسلامي، كما يعلن الشاعر عن مسؤولية كل مسلم أبيّ في الحفاظ على هذه المقدسات والذب عن حياضها. وفي قصيدة ثانية يبرز الشاعر نفسه منزلة فلسطين في إطار من الحسرة والألم مما تعانيه تلك الديار بعد وقوع النكبة. فيقول^(١):

أرنبو إلى الله والضراء تُحدق بي ونكبة المسجد الأقصى على حَدَقِي
على ((الخليل)) وكم ضاءت منائرُها في المسجد الحرم الأسنى من اليَقَقِ^(٢)
على مرافع ((عيسى)) جلّ رافعُه على المراتع أضحت غصة الخلق
على مرابع قدس الجحد باركها وحولها الله، وهي اليوم في الرّبَقِ
مسرى الرسول وأولى القبلتين بها واحرّ قلباه ماذا للفخار بقي؟
مالي أرى الصخرة الشماء في كمد تذوي، وعهدي بها مرفوعة العُنُقِ؟
ومنبِرُ المسجد الأقصى يئن أسى قد كان يحبو الدُّنَى من طهره العَدَقِ

(١) من وحي فلسطين: ٦٥-٦٦.

(٢) اليقق: البياض الناصع.

ويركز الشاعر في قصيدة ثالثة على حادثة الإسراء والمعراج مستوحياً من هذه المعجزة الغيبية الجليّة في ذكرها الأولى بعد حريق الأقصى، ومبرزاً حادث الحريق المؤلم. فيقول^(١):

مِلْءُ الملائك لهفة وهيام	ترنو القلوب هوى، وتُحنّ الهام
أسرى وسبحان الذي أسرى به	فذرا السماء ينيرها الإلهام
حدث تفرد في الوجود جلاله	وجماله وجّده والإنعام
يا يوم ((معراج الرسول)) وأنت في	كرّ الدهور هداية وسلام
عذراً إذا خنق البكاء تحيتي	لك، والأبيّ على البكاء يلام
لكنه ((الأقصى)) وفي نكباته	وحريقه، حبسُ الدموع حرام

كما كان حادث الحريق إطاراً لإبراز قدسية فلسطين ومكانتها لدى الشاعر كمال رشيد، إذ يجلو الشاعر منزلة فلسطين ثالث الحرمين الشريفين، وموطن الإسراء والمعراج. يقول^(٢):

يا ثالث الحرمين حرقك نكبة	فيها يزيد الجرح والإيلام
يا موطن الإسراء خصمك غادر	وسبيله التقتيل والإجرام
أسفي على الأقصى وقد عبث به	نارُ العدو وقد علاه قتام

ومّن تناول هذا الموضوع في الإطار نفسه، الشاعر كمال الوحيدي في قوله^(٣):

(١) من وحي فلسطين: ١٣٢.

(٢) شذو الغرباء: ٣٢.

(٣) هذا الطريق: ٨٠-٨١.

والله لو نطق الأقصى لأتينا
حيث التخاذل بين الشعب والدول
إن اليهود عليه اليوم قد جثموا
حتى يكاد يبين الآن كالطلل
قد دنسوه وعاثوا في قداسته
والمنبر الفذ قد ألقوه في الشعل
سبحان من بعظيم الآي باركه
في سورة بصريح القول لم تنزل
الحق أبلغ لكن أين عصبته؟
أين النفي إلى الأقصى إلى النفل؟

ونرى الشاعر نفسه في قصيدته ((مولد الهادي)) يث مشاعر الحب الممتزجة
بالأسى من أرض المسرى، من الأقصى الأسير. فيقول موجهاً حديثه إلى النبي
الهادي^(١):

إليك الحب من قلب
ولوع هائم صادي
ومن مسراك أشواق
وقد أمسى بأصفاد
من الأقصى تحياتي
وتحناني وإنشادي

ويرى الشاعر عدنان النحوي فلسطين وقد غلف الأسى والحزن أجواءها
وهي التي كانت لؤلؤة الإيمان ودار الجهاد بأروع أمثلته، وأرض الأنبياء.
فيقول:

يا فلسطين يا ربا المسجد الأقـ
صى حنانيك من أسى قتال
أنت حق الإسلام لؤلؤة الإيـ
مان دار الجهاد والأمثال
أنت عهد مضى لأحمد بالأقـ
صى ندياً على جديد الليالي
والنبوات ومضة من غيوب
شهدته، ووثقت من حبال

وها هو ذا الشاعر عصام الغزالي^(١) ينظم قصيدة في أول يوم من العام الميلادي. فيقول موجهاً حديثه إلى نبي الله عيسى^(٢):

وكان المهدي في وطني	نبي الله يا عيسى
وداري لم تعد سـكـني	وكانت حوله داري
ظلاماً غير مؤتمن	وعاد الليل يا عيسى
ضـ قـد تاهت لتؤلمني	وأسراب الطيور البـ
سرى في راكـد الشـجن	ورأس العام يا عيسى

يث الشاعر شكواه المتتاعية بعد أن غادر موطنه، حيث مهد المسيح - عليه السلام - يخيم عليه ظلام الخوف ورهبة الموت. والطيور البيض رمز السلام لم يعد لها وجود، فرأس العام يأتي والأشجان ما تزال جاثمة على الأرض المباركة.

أما الشاعر محمد التهامي^(٣) فيناجي القدس مؤكداً مزاياها ومكانتها بين بقاع الأرض فيقول^(٤):

(١) عصام الدين الغزالي: ولد في المنصورة عام ١٩٤٥م، ودرس في مدارسها ثم التحق بجامعة القاهرة ودرس الهندسة الميكانيكية، ودرس في السعودية أصول الدين. أصدر ديوانين شعريين، انظر مختارات من الشعر الإسلامي: ٢٩٧.

(٢) من أوراق مخطوطة من الشاعر نفسه.

(٣) محمد التهامي سيد أحمد: ولد في المنوفية في مصر عام ١٩٢٠م، حصل على الشهادة العالية في الحقوق، يرأس تحرير مجلة رسالة الإسلام، عمل في المحاماة والصحافة، ومديراً للإعلام بجامعة الدول العربية له عدة بحوث ودواوين منشورة.

(٤) أنا مسلم: ٤٥.

وذكرِكِ أعيانَ لسانِ الزمانِ
أيا قدسُ يا ملتقى الأنبياء
ويا واحدةً منذ فجرِ الوجود
تربى النبيون في حجرِها
ولما بمكة هلّ الضياء
تدلى على القدس خيطُ الرجاء
وفُتِحَ في القدس بابُ السماء
فيا قدس يا راحةً للقلوب
بها خفقة من جناح البراق
وأول داعٍ أقام الصلاةَ
أيا قدسُ ديس المكانَ الجليل
لعمق الحكايا وطولِ السَّيرِ
ومن ذاق أمرَ السماء فاثمرُ
تجمّع فيها الهدى وانتشرُ
وأرضعت الحقَّ حتى كَبُرُ
فأعشى قريشاً وزاغ البصرُ
وكان الهدى والمنى المنتظرُ
وجاء لنا المصطفى بالخيرِ
ويا سورةً من طوال السُّورِ
تَبَقَّى توهجُها واستمرُ
أدار إليها التفاتَ النظرِ
وغطّى على الطهر رجسُ أشْرُ

إن لمدينة القدس سيرة عاطرة عبر التاريخ، ومكانة سامية في قلوب المسلمين. إنها ملتقى الأنبياء الذين بلغوا رسالات ربهم، وحملوا دعوة التوحيد. ومنها انتشرت هذه الدعوة في نواحي الأرض. وحين كُذِّب رسول الله من قبل قومه قريش، شرفه الله برحلة الإسراء والمعراج لتمسح عن نفسه الحزن والعناء. وحملت لنا هذه المنحة الإلهية كثيراً من الأخبار والتشريعات. فكانت هذه الأرض المباركة موطن خفقة جناح البراق، وأول قبلة توجه إليها المسلمون.

ويذكر الشاعر نبيل محمد الأصباشي^(١) حادثة الإسراء والمعراج في قصيدته التي أشار فيها إلى تكذيب المشركين لهذه الحادثة رغم كونها دليل صدق رسالة الرسول الكريم. ولكنه الضلال الذي أعمى بصيرتهم. يقول^(٢):

وسريتَ نحو القدسِ تلتهمُ الخطا	وعرجتَ نحو ((المنتهى)) عداً
فتعجب الجهلاءُ من هذا الذي	أسميته المعراجَ والإسراءَ
هل يرعوي قومُ الجهالة بعدما	أنطقتَ فيهم حجةً بكماً؟
ها قد سريتَ وقد عرجتَ وإن في	هذا دليلٌ محجةٌ بيضاءَ

هذا، وقد أفرد شعراء آخرون قصائدهم للحديث عن متزلة فلسطين وحادثة الإسراء والمعراج. ومن أولئك الشعراء: يوسف العظم، محمد المنتصر الريسوي، أحمد محمد الصديق، عبد الرحمن العبادي.

فالشاعر يوسف العظم يقول في قصيدته ((يا قدس))^(٣):

يا قدسُ يا محرابُ يا منبرُ	يا نورُ يا إيمانُ يا عنبرُ
أقدامُ من داست رحابَ الهدى	ووجهُ من في ساحها أغبرُ؟
من لوث ((الصخرة)) تلك التي	كانت بمسرى أحمد تفخرُ؟
ودنس ((المهد)) على طُهره	إلا عدوً جاحداً أكفرُ
والبغيُّ مهما طال عدوانه	فاللهُ من عدوانه أكبرُ

(١) نبيل محمد الأصباشي: من مواليد حماة ١٩٥٣م. تخرج من جامعة دمشق، وحصل على دبلوم

الدراسات العليا، ويعمل حالياً مدرساً في الإمارات، له ديوان مطبوع. انظر ديوانه لحسن

الجراح: ١٢١.

(٢) لحن الجراح: ١١١.

(٣) في رحاب الأقصى: ١١.

ويواصل الشاعر - بعد أن وصف القدس بهذه الصفات المتعددة - حديثه عنها في معرض دعوته المحرّضة على الثورة والصمود في وجه الباغي الأثيم. فيقول^(١):

يا قدسُ يا محرابُ يا مسجداً يا درةَ الأكوانِ يا فرقداً
سفوحكِ الخضرُ ربوعُ المني وكم دعانا للهدى مرشداً
أقدامُ عيسى باركتْ أرضها وفي سماها قد سرى أحمدُ
أبعد وجهٍ مشرقٍ بالتقى يطلُّ وجهٌ كالحُ أربداً

ويعمّضي الشاعر مستعرضاً بعض صفحات التاريخ المشرق في رحاب القدس، فهي موطن البطولات والانتصارات الإسلامية، كما أنها موطن الوحي ومهد الأنبياء، وهي الأرض المباركة بنص القرآن. يقول^(٢):

القدسُ في أفقِ العلا كوكبُ تشعّ بالنورِ فلا تعجبوا
أيامُها بالحقِّ وضاءةُ كانت بأطرافِ القنا تُكتبُ
يا روضةً كانت لنا مرتعا وكوثرأً من فيضه نشربُ
وجنةً فيها ربيعُ المني في ظلّها أكبادنا تلعبُ

* * *

الوحيُّ والتريُّلُ والأحرفُ والآيُ والإنجيلُ والمصحفُ
وسورةُ الإسراءِ ما رُتلتُ إلا وأسماعُ الدنا تُرهفُ
تباركُ القدسُ وما حولها وصخرةُ القدسِ بنا تَهتفُ

(١) في رحاب الأقصى: ١٣. والقصيدة متعددة القوافي.

(٢) في رحاب الأقصى: ١٤.

وفي قصيدة ((هوية الأقصى)) يقصر الشاعر حديثه على مترلة الأقصى ومكانته في عقيدة المسلم. فيقول^(١):

إنما الأقصى عقيدة	ورسالة وقصيده
وهو صرخ أبت العلة	بياء إلا أن تُشـيده
بارك الله حوائلي	به آيات مجيده
وهو أرض النور فيه	مصطفى أرسى سجوده
وهو رمز للمعالي	زين التاريخ جـيده

وبعد هذه اللوحات المشرقة التي عرضها الشاعر يتابع قصيدته مستعرضاً لوحات أخرى من تاريخ الأقصى المبارك. يقول^(٢):

عمر يطرق أبوا	ب العلا يرعى جنوده
وحسام من صلاح الد	ين يجتاح قيوده
فارس الحلبة يعلـي	في حمى الله بنوده
إنما الأقصى عقيدة	في ذرا العز وطـيده

وفي قصيدة ((الإسراء والمعراج والفجر الوليد)) للشاعر محمد الريسوني، وصف الشاعر رحلة الإسراء بأنها آية الله. وذكر إمامة الرسول الكريم للأنبياء فقال^(٣):

(١) قناديل في عتمة الضحى: ١٣.

(٢) المرجع السابق: ١٤.

(٣) صحيفة النور - صحيفة مغربية يرأسها الشاعر نفسه: ١٥ - رجب ١٤٠٩ هـ، ص ٦.

والقصيدة متعددة القوافي.

آية الله على الخلق زهت تسكب الشوقَ بشريان الوجود
راحت الدنيا تغني حلمها وينبغي شوقها فجرَ الخلود
أحمدُ أسرى به ربُّ السما فاجتباها للهدى يحدو العهود
وطيءَ الأقصى يؤم الأنبياء يضوي قلبه نورُ السجود

ثم وصف رحلة المعراج إلى السماء آية أخرى من آيات صدق نبوته عليه الصلاة والسلام. إذ يقول^(١):

يومَ معراج الرسولِ المصطفى ألقُ ينداحُ في ليلِ الشرورِ
شهد الآياتِ ترى فأنجلت حجبُ الدنيا وأستارُ الدهورِ
فمضى في مهرجان من سنا يعبر الآلاءَ صباحاً من عبيرِ
غشي الأنوارَ تزهو فدنا فتدلى، إنه عرسُ بشيرِ
ثبت القلبُ على الحق فما زاغت العينُ، وفي النفس عطورِ
نعمت روحه بالرضوان وانـ داح في جسمه فيضٌ من حبورِ

وأخيراً يذكر الشاعر حدثاً مهماً حصل أثناء هذه الرحلة، وهو فرض الصلاة، ويصفها بأنها الضياء والصلة الوثقى بين العبد وربّه، والروض الذي ينعش القلب السقيم. يقول^(٢):

فرض الله على الخلق الصلاة ضياءٌ يزرع الخيرَ العميمِ
صلةً وثقى سناءً من ودا دِ وروض ينعش القلبَ السقيمِ
ربوةً رقت كأفئاسِ الصبا زانها صبحُ كرفّاتِ النسيمِ

(١) صحيفة النور: ٦.

(٢) صحيفة النور: ١٠ - رجب ١٤٠٩ هـ، ص ٦.

عالم يزهو بأضواء الهدى يصل العبد بإنعام نضير

وَيَصُورُ أَحْمَدُ مُحَمَّدَ الصَّدِيقِ هَذَا الْحَدَثَ الْغَيْبِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ: ((الإسراء والمعارج)) ممهّداً بالحديث عن حال الرسول الكريم بعد رجوعه من الطائف حزيناََ مهموماً. فيأتي الإسراء والمعارج منحة من الله لنبيه؛ لتمسح عن نفسه ما آب به من كرب وعناء في رحلته إلى ثقيف. يقول^(١):

لحظةً والبراقُ يهبط في البا ب جبريلُ ممسكٌ بعنانِه
قم حبيبَ الرحمنِ حييت لا تـ أسُ وهبَ النبيُّ من أحزانِه
واعتلى صهوةَ البراقِ وقد أو دَعَ سرّاً في قلبه وكيانِه
ورنا فالوجودَ لوحهٌ إبدأ ع عظيمٌ في عينه وجنانِه
يلحظ الكونَ لحظةً تتبع الأثرَ رى وذكرُ الرحمنِ فوق لسانِه

ثم يمضي الشاعر في استلهام هذه المعجزة الغيبية مبرزاً صفات القدسية والبركة التي أسبغتها هذه الرحلة على القدس والمسجد الأقصى فيقول^(٢):

وتجلست في ناظريه رواي الـ قدسٍ عقداً يزهو بريقُ جمانِه
حيث حطَّ الرحالُ في المسجدِ الأقـ صى فيزداد فيه طهرُ مكانِه

ويتابع الشاعر جزئيات هذه الرحلة من إمامة الرسول للأنبياء وإطلاعه على الغيبات، وما فيها من دروس ومواعظ ووعيد وتشريع. ويختتم القصيدة بعرض

(١) نداء الحق: ١٧١.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

صورة الواقع الأليم لأرض المسرى، وما آل إليه حال الأمة من نكوص عن الهدى وفرقة وخلاف.

والقصيدة الأخيرة في هذا المجال للشاعر عبد الرحمن العبادي^(١)، ويسير فيها على نسق قصائد الشعراء السابقين الذين استلهموا حادثة الإسراء والمعراج. يقول^(٢):

شقَّ الفضاءَ له نورٌ ولألاءُ وفي السماءَ له ذكرٌ وإنباءُ
قد أزهَرَ الكونُ مزهواً بأحمده وفيه للمرسلِ المبعوثِ إطرأُ
وكيف لا تحتفي الأكوان قاطبة بالمرسلِ الفذِّ وهو الغيثُ معطاءُ؟

ثم يوجه حديثه للرسول الكريم مبرزاً جلال الحدث^(٣):

يا سيدي ورحابُ الكونِ كان لها من نورِكَ الفذِّ أضواءٌ وأضواءُ
لما سريتَ بليلٍ في الدجى سطعتُ من شمسٍ طلعتِكَ الغراءِ أنحاءُ
لقد سريتَ إلى الأقصى فكان له من دارةِ العزِّ آياتٌ وآلاءُ
ومنه جزتَ إلى السبعِ الطباقِ فما وني البراقُ وما في الأمرِ إبطاءُ
بلغتَ في العزِّ شأنًا لا يطاوله حتى ملائكةُ الرحمنِ لو شأوا

(١) عبد الرحمن علي العبادي: ولد في إمارة دبي عام ١٩٥٢م. درس في المعهد الديني بقطر، ثم حصل على الشهادة الجامعية في التربية، وعمل مدرساً في مدارس دبي، ثم مديراً لمنطقة دبي التعليمية، ثم حصل على الدكتوراة. وله ديوانان شعريان، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٧٥.

(٢) بشائر الفجر: ١٥.

(٣) المرجع نفسه: ١٦.

ويتابع الشاعر قصيدته مستوحياً هذه الحادثة، ومثيلاً على الرسول الكريم. ثم يستعرض صورة الماضي المجيد؛ ليرز بعدها صورة الحاضر المرير، ويستنهض في الختام عزائم رجال الأمة لاسترجاع الأجداد والمقدسات.

وبهذا نلمح من خلال هذه النظرة لبعض النماذج التي عاجلت موضوع مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى أن معظم الشعراء الذين تحدثوا في هذا المجال قد اجتمعوا على عدة معان، تكررت في قصائدهم، ذلك أن الموضوع يمثل باعثاً قوياً لدفع الشعوب الإسلامية للجهاد والتضامن لإنقاذ الأرض المباركة من براثن العدو الغاشم.

المبحث الثاني

كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام

منذ اللحظة الأولى التي أشرق فيها نور الإسلام في الجزيرة العربية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومنذ أن وصل الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ليقم فيها نواة دولة الإسلام، واليهود يكدون للإسلام وللرسول، ويتربصون بهما الدوائر بغياً وحسداً. مع ما يجدونه في التوراة عن صدق نبوته عليه الصلاة والسلام. ومع اللين والتسامح الذي عامل به النبي الكريم اليهود عندما هاجر إلى يثرب، والمعاهدات التي عقدها بين المسلمين واليهود، فقد ظل اليهود يقاومون دعوة الإسلام، وينشرون الأكاذيب والتشكيك حولها، ويتآمرون ضدها بغية الإطاحة بها والقضاء على قائدها. غير مكترئين بالمواثيق والعهود التي عقدوها مع المسلمين. إلى أن أمر الله رسوله بإجلائهم بالقوة من المدينة المنورة. ومنذ ذلك التاريخ البعيد وحتى اليوم عُرف اليهود بكل لؤم وخسة في الأخلاق وبارتكاب الجرائم الوحشية والهمجية^(١).

وقد استغرق الحديث عن بني إسرائيل في كتاب الله السور الطوال في مختلف مراحل التزول؛ يتحدث عن صفاتهم وطباعهم وأخلاقهم وبعدهم عن الحق

(١) انظر ملف الانتفاضة: ٤٢-٤٣.

وتحريفهم له، وشدة عداوتهم للمؤمنين^(١). قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢/٥].

وهذه السيرة الوضيعة لليهود مع الإسلام إبان ظهوره وحتى انتشاره وانتصاره ما هي إلا امتداد للسيرة الشنيعة لهم مع الأنبياء والمرسلين قبل الإسلام. والمتأمل في التاريخ لا بد أن يتكشف له بوضوح أن أمة اليهود هي بحق أمة المكر والإثم والشر والعداء. وأن أمة من الأمم لم تشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وعناد وكنود وتنكر للهداية ومقت للمهتدين؛ مما جعلها محطاً لغضب الله وسخطه^(٢).

((وفي هذا العصر صادفت أطماع اليهود وآمالهم مواقع مملوكة للمسلمين، وأماكن مأهولة بالمسلمين. ففي بيت المقدس قبلتهم وهيكلهم، وفي فلسطين اختاروا دولتهم، وفي أراضي النيل والفرات محط أطماعهم. فتطلب ذلك منهم - قبل تنفيذ أغراضهم- أن يشحنوا قلوبهم ببيغضنا، ويشحنوا سلاحهم لقتلنا، ويعدوا العدة للقضاء علينا، وإلا فلا دولة ولا حدود ولا هيكل ولا تلمود))^(٣).

وقد تناول الشعراء هذا الموضوع في لمحات يسيرة جاءت في طيات قصائدهم ومن ذلك ما جاء في قصيدة ((شكوى)) للشاعر محمود مفلح، حين يثّ شكواه المريرة. فيقول^(٤):

(١) انظر على طريق الانتفاضة المباركة: ١٤.

(٢) انظر: قبل أن يهدم الأقصى: ١٥.

(٣) قبل أن يهدم الأقصى: ٢٠.

(٤) الراية: ٣٨.

يا سيدي وأنا المقتول من ظمإٍ والماء يجري كما الياقوت قرب يدي
يا سيدي أمة الإسلامِ مثخنةٌ تعاورتها سهامُ الغدرِ والنكدِ
أنى تلفتٌ لا تلقى سوى بلد يشكو مرارة أيامٍ إلى بلدٍ
خناجرٌ طعنَتْها وهي مدبرةٌ ومثلها طعنتُ في الصدرِ لم تحِدِ
وإن لي مسجداً عاث اللثامُ به ومنيراً لم يزل يهتزُّ في خلدي

يصف الشاعر العدو بالغدر ويشكو كثرة الجراح التي تعانيها أمة الإسلام. ثم يصفهم باللؤم والإفساد، فلم تسلم من شرهم المساجد ولا المنابر.

ويبرز الشاعر عمر الأميري ضلال اليهود وما تنطوي عليه نفوسهم من مكر وبغي وضلال وخداع. فيقول^(١):

مكرُ اليهود وبغيهم وضلالهم بُعثَ به الأنصابُ والأزلامُ
السُّمُّ في الدسمِ الشهيِّ، وعالمٌ في الجاهليةِ كالسوامِ يسامُ

ومن قصيدة ((وجه تقلب في السماء)) ذكر الشاعر صفات العدو في قوله^(٢):

نبكي على ((الأقصى)) الأسيـ رٍ وفي ((الخليل)) لنا منادِبُ
في ((القدس)) في ((الجلولان)) في ((سينا)) تمزَّعنا مَخالِبُ
أعداؤنا لـدُّ وقا حُ البغي في ختلِ الثعالِبُ
يستقطنون لحرِّنا الـ أشتاتٍ في كيدِ مواظِبُ

(١) من وحي فلسطين: ١٣٨.

(٢) من وحي فلسطين: ١٦١.

يصف الشاعر الأعداء بصفات الوحشية والبغي والمكر والخديعة. ويذكر بتجمّعهم لحرب المسلمين وهم شرادم الآفاق. وفي ذلك تعريض بواقع الفرقة والخصومة الذي تعيشه بلاد المسلمين.

أما الشاعر كمال الوحيد فيدعو إلى الثورة والخروج من الصمت الرهيب الذي يحتم على الأمة أمام بغي يهود الغدر والإحن. فقد حان الوقت لتطهير المقدسات من دنسهم. يقول^(١):

يا أمة العرب^(٢) إن اليوم موعدنا مع اليهودِ صحابِ الغدرِ والإحنِ
إن لم نطهر أراضينا ومقدسنا من رجسهم ليتنا في الكون لم نكن
أبناءؤنا في غد لن يغفروا أبداً هذا التخاذلُ أو يرضوا بذا الوسنِ

ووقف الشاعر أحمد فرح عقيلان على أساس البلاء الذي حل بالمسلمين، وجعل العدو يجوس في أقداسهم متبجحاً متمرداً وهو الذي ضربت عليه الذلة والمسكنة، إن أساس البلاء هو استبدالهم بشريعة الإسلام شرائع الضلال التي مزقتهم شرّ ممزق. فقال^(٣):

لما تبدّلنا شرائعَ غيرنا بشريعة الإسلام أصبحنا سُدى
تلك المبادئ مزقت أعلامنا وغداً بها الشمل الجميع مبدداً
وإذا اليهودي الدليلُ يجوس في أقداسنا متبجحاً متمرداً

(١) حنين وأنين عبر السنين: ٢٣٦.

(٢) يخص الشاعر العرب بهذه الدعوة، وإن كان المسلمون كافةً مطالبين بالدفاع عن مقدساتهم،

ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر فضل العرب الأوائل في حمل رسالة الإسلام إلى الآفاق.

(٣) رسالة إلى ليلي: ٧٩.

إن الذي كتب اليهود أذلةً كتب العلاء لحزبه والسوددا
جيشُ العروبة حين أعلن أنها دينُ أقام العالمين وأقعدا
واليوم أعلن أنها دنيا فما صمدت لفئران البرية شردا
وفي قصيدة ((عيد اللاجئ)) يصف الشاعر نفسه اليهود بالذلة والبغي
والطغيان وحب الفساد، معلناً أطماعهم الدنيئة. فيقول^(١):

أيُّ عيدٍ وطغمةُ الذلِّ تاهوا واستباحوا جماجمَ الأجدادِ؟
والربوعُ المقدساتُ الغوالي دنستها شرادُمُ الأوغادِ
والعدوُّ الوضعُ يسخرُ مني ويدوس الرفيعَ من أمجادِ
وعريني تختال فيه كلابٌ تتحدى محالبَ الآسادِ
معلناتُ بأن ملكَ يهوذا من حمى يشرب إلى بغدادِ
أما الشاعر كمال رشيد فيجيب شاعراً آخر يحنّ إلى اللقاء على أرض القدس
ليجتمع شمل الأحبة، فيبادره الشاعر بقوله^(٢):

بُدِّل الحال واعترتنا سنون وطُردنا من أرضنا والمربعُ
أيها الشاعر الكبيرُ اعتذارُ فالأفاعي في أرضنا تتبرقعُ
والأعادي تعدُّ كيداً وحقداً أي حقدٍ من حقدِ صهيون أجشعُ
إن هُزمنّا فللزمانِ اختلافُ وفِعالُ الرجالِ تبني وترفعُ

إنه يصف المحنة التي يعانيتها أبناء الأرض المقدسة؛ فقد أجبروا على الرحيل

(١) جرح الإباء: ٥٥-٥٦.

(٢) شدو الغرباء: ٤٦.

ظلماً وعدواناً وحقداً من العدو الغادر الدخيل، وليس أبشع من فقد بني صهيون. ولكن الأيام دول وما زال الأمل معقوداً على رجال الأمة الأحرار.

ويعلن الشاعر نفسه في قصيدة ((نداء إلى الأحياء)) أن سياسة الغدر والإجرام هي من طبائع اليهود وصفاتهم. فليس من المستغرب أن يتجرؤوا على حرق الأقصى؛ فتلك أمانيتهم وأحلامهم في تدميره وبناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه. كما يعلن أن حربهم مع الإسلام قائمة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠/٢]. يقول^(١):

يا موطنَ الإسراءِ خصمُكَ غادرٌ	وسبيلُهُ التقتيلُ والإجرامُ
إن يحرقوك فليس ذلك بدعةً	في دينهم بل إنها الأحلامُ
حربٌ على الدينِ الحنيفِ وإنها	لطويلةٌ ما طالتِ الأيامُ
أسفي على الأقصى وقد عبثت به	نارُ العدوِّ وقد علاه قتامُ

ويطوف الشاعر الحبيب المستاوي بآفاق العالم ليرى اليهود وقد تحكموا بثروات كثير من البلاد. ويجلي أطماعهم وما تنطوي عليه جوانحهم من مكر وخديعة. وهم مع تفرقهم في البلاد إلا أن وحدة الهدف قد جمعتهم في فلسطين المسلمة. فكان لهم النصر والسيادة في العالم، وليت المسلمين يتعلمون من ذلك درساً في ثمار التضامن والوحدة. قال^(٢):

سادةُ الدنيا يهودٌ مَنْ ترى	يملكُ الماسَ ويُغري بالذهبِ؟
قد بلوناهم فما كانوا سوى	أهل مكرٍ ومراءٍ وكذبٍ

(١) شدو الغرباء: ٣٢-٣٣.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية: ١٤٧/٩.

قُطِعُوا فِي كُلِّ أَرْضٍ أُمَّا لَمْ يُصَبِّ أَوْصَالَهُمْ أَيُّ عَطَبٍ
وَحَدَّةُ الْأَهْدَافِ وَالِدِينِ اقْتَضَتْ مِنْهُمْ التَّوْحِيدَ إِنْ خَطَبَ حَزَبُ
سَبَقُوا فِي الْعِلْمِ وَالْمَالِ فَمَا أَهْمِلُ الشَّرْطُ وَلَا ضَاعَ السَّبَبُ

وفي ضوء ما تقدم من نماذج رأينا أن الشعراء قد أبرزوا فهمهم الإسلامي لأبعاد المعركة العقديّة بينا وبين اليهود، كما فهمها الرسول الكريم وأتباعه والقادة المسلمون الظافرون الذين حرروا المقدسات من نير الكفر والطغيان عبر التاريخ، فلا بد لهذا الفهم أن يأخذ طريقه إلى عقل الأمة المسلمة -بعد طول غياب- وإلى عقول الأجيال لتحرير الأرض المباركة وإعادةّها إلى المسلمين طاهرة عزيزة، بعد معركة فاصلة، دينية الصميم عقديّة الأساس.

المبحث الثالث

استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد

لتحرير الأرض المقدسة

لما كان الشعر تعبيراً عن وجدان الأمة ومواجهتها لذا صار هذا الموضوع باباً واسعاً لإبداع الشعراء. فعبّر عن ميل النفوس إلى الأنفة والكرامة والسعي نحو الآمال الكبيرة والذرا الشائخة والدفاع عن الحرمات. فلم يقتصر الشعر في هذه الفترة على التفاعل مع الأحداث ووصف الدوافع والأبعاد وإنما صور حلم الثورة وأمنيات التحرير أملاً في تحول الحلم إلى حقيقة والأمنية إلى واقع معيش.

ومع أغلال الإحباط التي صنعتها نكبة (١٩٦٧م) والتي مثّلت عاملاً مثبطاً إلا أن خيال الشعراء استطاع أن يتجاوز هذه العثرة ناظراً إلى الآفاق المستقبلية نظرة أمل وتفاؤل وترقب، ففاض الشعر هذّاراً في هذا المجال مستنهضاً ومحرضاً. ومن ذلك قول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة ((الفجر الآتي))^(١).

قادمٌ فجري وإن طال الظلام	ليس يشيه ضبابٌ أو قتامٌ
قادمٌ فجري ومن أشواقنا	يتلظى في حواشيه الضرامُ
آن يومُ البعثِ وانشق الدجى	عن جبين الحق هبوا لا تناموا

وبعد هذا المطلع المتفائل بمقدم فجر التحرير، يدعو الشاعر أبناء الأمة إلى الوحدة والعمل الإيجابي والوقوف في وجه العدوان فيقول^(١):

وانهضوا في الله صفاً واحداً تنطق الأفعال منكم لا الكلام
كشّر الباطل عن أنيابه وحمى الإسلام في البلوى يضام
فادفعوا عنكم أعاصير العدا واتركوا أوكارهم وهي حطام

ويرى الشاعر فيما يأتي من أبيات أن تاريخ الإسلام عبر العصور تاريخ مجيد زاخر بالانتصارات والعزة والفخار؛ فيدعونا إلى استرجاع تلك الأبحاد. فيقول^(٢):

رأية اليرموك فينا ما انطوت فارفعوها ترتفع للمجد هام
وصدى التكبير في أرجائها أين من لبي إذا حان الصدام؟
في سبيل الله لا نصر سوى نصره، والحرب بذل واقتحام
هكذا ترقى ذراها أمة هكذا يرسخ للحق دعام
هكذا يبرز فينا خالد وصلاخ الدين والجيش اللهم
هكذا تفتح آفاق الدن هكذا والحق يحميه الحسام
عزة تحتاج في الله المدى وحدة ما عابها قط انثلام

ثم يختتم الشاعر قصيدته الطويلة بابتهاال ضارع إلى الله أن يكون عوناً لجند الحق. ويقرر بأن النصر هو النتيجة البديهية لبذل أسباب النصر. يقول^(٣):

(١) قادمون مع الفجر: ٢٨.

(٢) قادمون مع الفجر: ٢٨-٢٩.

(٣) المرجع نفسه: ٥٣.

تأقت الروحُ إلى أمجادِها شبَّ فيها الوعيُ وانزاح اللثامُ
ونداءُ الحقِّ يدعو جنده ويقودُ الصحوَّةَ الجيلُ الهمامُ
يا إلهي كن لهم عوناً فمن طاب مبداه فما خاب الختامُ

وقد وقف الشاعر نفسه طويلاً عند هذا الموضوع فنراه في قصيدته ((رسالة من الأعماق)) يبعث بهذه الرسالة ((إلى المسلمين في العالم بشرى التخلص من نير الطغيان)). فيقول^(١):

بدمي أخطَّ رسالي وأسطرَّ وأزفَ مبعثَ أمي وأبشَّرُ
إني أرى عجباً وملءُ مسامعي كالرعدِ صيحاتُ الرجالِ تكبرُ
وكانَ بركاناً تفجرَ صاحباً في كل ناحيةٍ يصولُ ويزارُ
الشعبُ بالإسلامِ يزحفُ نافضاً عنه الركامَ وبالمطامحِ يظفرُ

يرسم الشاعر صورة مستقبلية مشرقة ليوم الثورة والتمرد على واقع الهزيمة. يوم أن ينطلق الزحف المبارك بركاناً صاحباً يسحق الطغيان ويظفر بالنصر. وبعد أن بثَّ الشاعر روح الأمل والتفاؤل في النفوس، التفت إلى جيل الصحوَّة مستنهضاً. فقال^(٢):

الصحوَّة الكبرى ومنشأ نورها في القلب تغذوها الدماء فتكبرُ
هيا انهضوا ولتنقشع من بيننا حُجُب تفرِّقُ شملنا وتنفرُ
تهفؤوا إلى راياتكم راياتنا وغداً أزهرونا النضيرة تثمرُ
ومعاً نسيرُ على الطريقِ تحوطنا عينُ الإلهِ بهديه نستبصرُ

(١) قادمون مع الفجر: ٥١.

(٢) قادمون مع الفجر: ٥٢-٥٤.

ونعود للقدس الحبيبة درُبنا بدمائنا عبرَ الجهادِ يقررُ
هذا منارُ السالكين شعاعه يهدي وآيته العظيمة تُبهرُ
هيا انهجوا نحو الأمانِ هجّه إن الصباحَ على يديكم يسفرُ
وفي ديوانه ((جراح وكلمات)) يستثير العزائم في ثورة وتصميم. إذ
يقول^(١):

حطّموا أسطورةَ البغي الأثيمة واحرقوا عن أرضنا تلك الجريمة
ليس للغاصبِ في أوطاننا موطنٌ إن نحن وطينا العزيمة
اصعقوا الدنيا بزحفٍ كاسحٍ واجعلوا من جنة العادي جحيمه
واشهدى يا قدس في يوم اللقا جولةً للحق غراءَ كريمة
يستصرخ الشاعر الأحرار لتحطيم أسطورة العدو الذي لا يقهر، ولا يكون
ذلك إلا بالزحف الإيماني في تضامن واتحاد وعزيمة لا تُفلّ. وحينها تكون للحق
جولة ((غراء كريمة)).

ثم يلتفت الشاعر مناجياً بلاده المحتلة بألحاح حمى النور والحرمان، ومنها يستضيء
الجندي المجاهد. فهي التي توري في نفسه زند الثورة والعزم الصادق. يقول^(٢):

يا بلادي يا حمى النور الذي لو مشى في ميّت أحياء رميمه
شعلة الإسلام لن تطفئها نفخة العدوان أو عصفُ السخيمة
نبّؤوا ((خير)) أنّ أمة لم تنزل فيها على الظلم شكيمه
قمةٌ رغم الأعاصير التي زعزعتها والسياسات العقيمه

(١) جراح وكلمات: ٢٨.

(٢) جراح وكلمات: ٢٩.

وفي قصيدة ((الفجر المؤمن)) ينظر الشاعر النظرة التفاؤلية ذاتها، فيترقب -في أمل- الفجر المؤمن ويرى فيه إشعاع الأمان والآمال وقد ملأ نورها الآفاق. ويرى خيول الجهاد وقد تآقت إلى الذرا الشاخنة. يقول^(١):

ماذا تعدّ لنا الغيوب؟ كأنني أرنو فأبصر ثمّ فجراً مؤمناً
وتشع ملء عيونه آمالنا مجداً تسطره السماء ممكناً
وإليك يا قمم الرجاء على المدى تبقى الصوارم مشرعات والقنا
وخيولنا أبداً تتوق إلى الذرا وكتابتنا شمس تضيء على الدني

ومن ديوان ((نداء الحق)) ينشد الشاعر نشيد ((يا أمّي)) مستثيراً العزائم إلى النهوض والأخذ بأسباب النصر. حيث يقول^(٢):

النصر من عند الإله ه فأن إخلاص السجود؟
بيديه أسباب الحياة ة وكل أسرار الخلود
عودي إليه وأحسني الر جعوى وأوفي بالعهود
وحذار أن تتنكي نهج الغطارفة الجدود
وترسمي درب المني بالصديق والعزم الأكيد
بالعلم والإيمان بالـ إقدام بالوعي الرشيد

يرسم الشاعر في الأبيات طريق الخلاص، فلا عز إلا بالإسلام. الإسلام الصحيح إيماناً وعملاً، والسير على نهج الأسلاف في عصور الإسلام الظاهرة، حين نصر المسلمون الله فنصرهم. ثم يتابع الشاعر شحذه للهمم فيقرر أن هذا

(١) جراح وكلمات: ٤٨.

(٢) نداء الحق: ١٢٤.

الطريق وحده السبيل إلى استعادة مكانة الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠/٣] وهو السبيل إلى الحياة الحقيقية التي تأبى الذل وتؤمن بالحرية. إذ يقول^(١):

هَذَا سَبِيلُكَ فَاسْلُكِيْهِ	هَذَا سَبِيلُكَ فَاسْلُكِيْهِ
يَا أُمِّي أَنْتِ الْعَرِيْـ	يَا أُمِّي أَنْتِ الْعَرِيْـ
وَدْعِي الْمَأْتَمَ وَانْهَضِيْ	وَدْعِي الْمَأْتَمَ وَانْهَضِيْ
تَتَوَثَّبُ الْآمَالُ وَالـ	تَتَوَثَّبُ الْآمَالُ وَالـ
بَيْنَ الْحَنِينِ وَدَفْنِهِ	بَيْنَ الْحَنِينِ وَدَفْنِهِ
وَيُظَلُّ بَعَثُ الرُّوحِ جَسَدُ	وَيُظَلُّ بَعَثُ الرُّوحِ جَسَدُ
مِنْ قِمَّةِ التَّارِيخِ مِنْ	مِنْ قِمَّةِ التَّارِيخِ مِنْ

وفي ديوان الشاعر ((الإيمان والتحدي)) دعوات قوية إلى الجهاد والثورة في وجه العدوان، كما ينبىء بذلك عنوان الديوان. ومنه قوله^(٢):

فَتَمَرَّدْ يَا شَعْبَ إِنْ كُنْتَ حَيَا	فَتَمَرَّدْ يَا شَعْبَ إِنْ كُنْتَ حَيَا
الضُّحَايَا مِنَ الْقُبُورِ اشْرَآبَتْ	الضُّحَايَا مِنَ الْقُبُورِ اشْرَآبَتْ
وَعَيُونُ السَّمَاءِ تَشْفِقُ فِي حَدِّ	وَعَيُونُ السَّمَاءِ تَشْفِقُ فِي حَدِّ
بِيعَتِ الْأَرْضُ وَالْكَرَامَةُ دِيسَتْ	بِيعَتِ الْأَرْضُ وَالْكَرَامَةُ دِيسَتْ
وَهَتَافُ الشَّهِيدِ: لَا تَنْكُثُوا الْعَهْدَ	وَهَتَافُ الشَّهِيدِ: لَا تَنْكُثُوا الْعَهْدَ
تِلْكَ أَرْضُ الْأَجْدَادِ لَا تَسْلَمُوهَا	تِلْكَ أَرْضُ الْأَجْدَادِ لَا تَسْلَمُوهَا

(١) نداء الحق: ١٢٥.

(٢) الإيمان والتحدي: ٨٨.

يوجه الشاعر دعوة قوية إلى التمرد على الذل والمهانة والنهوض في عزة وإباء لتسقط أصنام الباطل. ويستدعي صوراً من المعاناة التي يحياها الشعب تحت نير الظلم والطغيان. ويقوّي استثارته للعزائم بإجراء الحديث على لسان الشهيد؛ الذي يهتف بأُمته موصياً بالحفاظ على العهد والصمود في وجه البغي.

ولا شك أن هذه الوصية حافلة بالوجدان وحافز إلى الثورة في قوة وتصميم. ويشفع الشاعر هذه الوصية بنظرة متفائلة إلى المستقبل قائلاً^(١):

يا قيودَ الإرهابِ والعسفِ زولي	وانقشعْ عن سَمائنا يا ظلامُ
إن فجرَ الإسلامِ لا بدَّ آتٍ	ليس فيه إلا الكميّ الهمامُ
ذاك وعدُ السماءِ سجله القر	آنُ وحيًا تشدو به الأعوامُ
وغداً تشرق الحياةُ بفتح	عقريُّ وتخفقُ الأعلامُ
وتخرّ الجباهُ في ساحة الأقم	صى ويعلو بعد العبوسِ ابتسامُ

فالفجر آتٍ بإذن الله تحقيقاً لوعد الله بالتمكين لهذا الدين، فيكون الفتح العظيم وتعلو رايات النصر عزيزة خفاقة، وتقام صلاة آمنة مطمئنة في رحاب الأقصى الشريف.

أما الشاعر كمال الوحيددي فيطالب رجال الأمة الأحرار بالتأثر؛ ويصور العدو الطاغوي وقد دنس الحرمات واستباح المقدسات. وفي ذلك دافع قوي للثورة والرغبة في التأثر، ولكن ويا للأسف من الأمة من يتودد للعدو ويخضع!! ثم يجري

(١) الإيمان والتحدى: ٩٣.

الشاعر حواراً على لسان طفل يستنهض النخوة والإحساس بالكرامة داعياً للثأر
مَن قتل والده، ومعلناً استعدادَه لخوض المعركة إذا أحجم الكبار. فيقول^(١):

أليس المسجد الأقصى إلينا	وحيفا والخليل وأرض سينا؟!
أما للثأر في دمكم بقايا	فيدفعكم لدحر الجرمنينا؟!
أيرضى مؤمنٌ تقصم وردٍ	لأعداءِ الإله الخادعينا؟!
أخي طفلي يقول إليك هيا	إلى صهيون لا تترك كميننا
فهذا والدي عنا تولى	فخذ بالثأر واحذر أن تلينا
وإلا فاعطني الرشاش إني	أُتيتُ بأن يقيم الذلُّ فينا

وتابع الشاعر نداءه المستصرخ للأمة مذكراً بالأبجد الماضيّة، وما كان للمسلمين
فيها من قوة وعزة. جاهدوا في سبيل الله فأيدهم الله بجنود من عنده، فقال^(٢):

ألسنا أمة الأبجد قديماً	وأهل الساح دوماً ما حيننا
فإن وطئ العدو لنا ثغوراً	حَرَصنا أن يظلَّ بها دفيننا
ولا تهنوا إذا ما الخصمُ لاقى	فجندُ الله تحمي المتقيننا
وإن غدت المعارك عابساتٍ	فشمر ساعديك وكن أميننا
لتمضي الطائراتُ مطوّفاتٍ	يساقطن القذائفَ والمنونا
وأصواتُ الأراميلِ والثكالى	ستحرقُ كلَّ من يحيي الجيننا
تمرّد أيها العملاقُ حتى	تكونَ لشعبك الدرعُ الحصينا
وما ترمي فإن الله رامٍ	وعند البأسِ يمنحك اليقيننا

(١) أنين وحنين عبر السنين: ٢٢٢.

(٢) أنين وحنين عبر السنين: ٢٢٢-٢٢٣.

ويوجه الشاعر أحمد فرح عقيلان نداءه إلى فتية الفتح عشاق الحرية لبذل
أرواحهم في إخلاص و يقين؛ ليلقنوا المعتدي درساً أخيراً. وقدم الشاعر صورة
بدیعة لمن قدم روحه في سبيل الله، وجعل همه العلياء في حين شغل غيره بمفاتن
الحياة ومباهجها. فقال^(١):

يا فتية الفتح يا أنوار موكبنا	يا من بطولائهم فعل بلا خطب
حيّ الفدائي يعطي من قنابله	درساً يطبخ بهم رأساً على عقب
شтан من هم كاس وزانية	ومن على الذروة الشماء في اللهب
ليس الذي يمهر العلياء من دمه	مثل الذي يمهر الصهباء بالذهب

وفي قصيدة ((صرخة من الأقصى)) يرفع الشاعر نداء مستغيثاً مستثيراً
للعواطف على لسان المسجد الأقصى. فيقول^(٢):

صوت من المسجد الأقصى يناديني	إلى فدائية الإيمان يدعوني
يصيح والصخرة الغراء -تاوية	أين البطولات في الغر الميامين؟
أبعد أن زفني عمرو إلى عمر	في هالة المجد والقرآن والدين
يعربد الكفر مخموراً بمئذني	ويستهين بقدي كل ملعون

وبعد هذا النداء الصارخ من الأقصى، التفت الشاعر إلى صفحات التاريخ
الإسلامي المشرق، في تعبير قوي لاستثارة العواطف وحفز المشاعر، ليرسم الجليل
المسلم خطا الأجداد. فيقول^(٣):

(١) رسالة إلى ليلي: ٨٦ - ٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ٨٩.

(٣) المرجع نفسه: ٩١.

في القادسية واليرموك خالِدُنا وسعدُنا أعلنوها في الميادين
(الله أكبر) كم عزّت وكم شهدتْ في ساحةِ المجدِ من نصرٍ وتمكينِ
كم جلجلت حول حصنٍ شامخٍ أشبَّ كم رفرفت فوق أوربا إلى الصينِ (١)
ودولة الظلم مهما تبين زائلةٌ وإن بدت في انتصاراتٍ إلى حينِ

والشاعر كمال رشيد يبعث برسالة يصرّ فيها الجيل الإيمانى بسبب الذلة والخضوع الذي تعيشه الأمة، إنه الركون إلى الدنيا والتقاعس عن الجهاد، فيقول (٢):

يا من ركنت إلى الحياة وطيبها الذلُّ في الدين الحنيفِ حرامٌ
والحقُّ أبلجُ والحياةُ قصيرةٌ فعلامُ خوفٍ إن أتاك حِمامٌ؟
(من لم يمت بالسيف مات بغيره)) ولكلِّ نفسٍ في الحياةِ مرامٌ
أين الملايين الذين نعدّهم أو ليس فيهم فارسٌ مقدامٌ؟
بخلتْ علينا الوالداتُ بمثلهم وأتى على آثارهم أقزامٌ
شقيتْ بنا الأيامُ إذ لم نحِها ولطالما سعدتْ بنا الأيامُ

وبعد هذا اللوم الموجه إلى المتقاعسين يؤكد الشاعر كمال رشيد ما ذهب إليه الشاعر عقيلان من أن في التاريخ الإسلامي خير نموذج يحتذى. فالحقوق التي

(١) أشب: التف حوله الشجر بكثرة.

(٢) شدو الغرباء: ٣٣.

سلبت بالقوة لا ترد إلا بالقوة. ثم يستدعي شخصية البطل صلاح الدين علّه يعود ليرى ما حلّ بالبلاد التي فتحها. يقول^(١):

نحن الألى خبروا المعارك قادةً أيرأد منّا الذلّ والإرغام؟
كيف الحقوق تضيع من أصحابها إن كان فيهم مبدأ وحسام؟
قم يا صلاح وشاهد القدس التي حررتها يزهو بها الخاخام
فلعل سفر المجد يفتح صفحةً فيطل يوم مشرق بسام

وبعد أن أسهب الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في الحديث عن نكبة حزيران وآثارها الوخيمة، عاد ليوقد شمعة أمل تضيء آفاق المستقبل. فقال^(٢):

لا يأسَ فالحربُ أقدارٌ ودائرةٌ وإنه طبقٌ يأتي على طبقٍ
مكبلون، ولكن في غدٍ نبأً يا نجمٌ مزقَ ظلامَ الليلِ واثلقِ
غداً سيشرقُ بالإسلامِ طالعُنا بدرًا وشمسًا وتجلو غرةَ الفلقِ
والنصرُ بالصبرِ والإيمانِ معقده والمجدُ بالعزمِ والإعدادِ والسبقِ

إن المسلم لا يعرف اليأس: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

[يوسف: ٨٧/١٢] فأفاق الغد ستنشق عن نجم أمل متألق يمزق ظلام

الهزيمة. وبإشراقة القرآن يجتاز الجيل المسلم المحنة إلى شاطئ الأمل المشرق بعزة النصر.

(١) شدو الغرباء: ٣٤.

(٢) من وحي فلسطين: ٧٣.

والنظرة التفاؤلية ذاتها نجدها لدى الشاعر في قصيدته ((سيطول الطريق والنصر آت)) إذ وجه الشاعر دعوة قوية إلى المسلمين للتمرد على واقع الهزيمة لتحقيق النصر، بعد جهاد إسلامي يبدأ من القدس وينتهي بإحدى الحسنين النصر أو الجنة. فقال^(١):

سرى الكونُ من تمردنا الجبـ	ار ما يسحقُ الطواغيتَ سحقاً
إن للفتح موعداً راسخَ العزْ	م وسعيّاً إلى الفداء وسبقاً
بيعةً في الجهادِ شقت من القد	س إلى الخلدِ دربها الوعرَ شقا
سيطولُ الطريقُ لكن نصرَ اللـ	ه آت وعروةُ الله وثقى

والشاعر شريف قاسم يث الحمية في نفوس المؤمنين بقوله^(٢):

أواه ما مات الرجاءُ وفي الربا	من بايعوا -دون الهدى- القهارا
العنفوانُ وعزةُ الإيمانِ في	أعماقهم بالنورِ تُضرمِ نارا
سيقاتلون الشركَ كيف تبدّلت	أثوابه ويمزقون العارا
أواه ما متنا فيا راياتنا	رفي ويا هذا الفدا كن جارا
سنبيعُ غاليةَ الحياةِ بجنةٍ	ويعودُ جحفلنا بنا كرّارا

إن الأمل في الغد لن يموت في قلوب المؤمنين الأحرار ذوي العزة والإباء. فهم الأمل وهم الثائرون لقتال الشرك بشتى صورته وأثوابه، وهم الذين باعوا الحياة الدنيا واشتروا جنة الخلد.

(١) من وحي فلسطين: ١٦٧.

(٢) متى تعودون؟: ٦٧.

ثم يتابع الشاعر استنهاضه للحمية وإذكاءه للغيرة. فيقول^(١):

الله أكبر لن نعيش أذلةً	جننا لكل فضيلةً نتبارى
بالدين تأنسبُ القلوبُ أخوةً	وبغيره ذقنا الحياةَ مَرارا
بالدين تهمزُ النفوسُ أصالةً	ويعودُ ودقُ سحابها مدرارا
بالله بالقرآن كنّا أمةً	وهدى الرسول يقودنا أجبارا
أبدًا ولن تحيا بعزٍّ أمي	إن لم تحكّم بينها الأنوارا

يقرر الشاعر في الأبيات أن النصر لا يتحقق إلا بعودة صحيحة إلى الدين القويم وإلى الكتاب الكريم والثقة بالله جل شأنه، وحينها تهمز النفوس لتنفض عنها غبار الذلة والخنوع، لتعود أصيلة عزيزة ترفض الهوان وتتطلع إلى العزة والنصر.

وفي قصيدة ثانية يؤكد الشاعر ما جاء في أبياته السابقة من رسم لطريق النصر والعزة. إذ يقول^(٢):

ما حرّر الأقصى السجينَ مهرجٌ	أو عاش للجلى أخو خسرانٍ
والقدسُ غافيةٌ على أحزانها	تشكو المصابَ المرَّ للركبانِ
للمؤمنين بربرهم وبدينهم	وجهاد هذا الجيل كالفرسانِ
فإذا بها اختضبَ الترابُ بدافقٍ	من كل قلبٍ طاهرٍ حرانٍ
وتجاوبت أصداؤُ كل كتيبةٍ	تأبى القعودَ على الهوان الجاني
وتدافعتُ للموت غيرَ ملاحمٍ	وعلا مع التكبير كل لسانٍ
إذ ذاك تنهدَّ القلاعُ وينجلي	صبحُ الخلاص بأوجه الشجعانِ

(١) متى تعودون؟: ٦٨.

(٢) المرجع السابق: ٨٨-٨٩.

وتعود للأقصى على وهج القنا رايأثنا مياسة الخفان
فلتنطلق أفواجنا وسلاحها سيف يوشيه سنا القرآن

يرسم الشاعر لوحة مشرقة للمستقبل، فيصور القدس وقد شكت ما بها إلى المؤمنين الأحرار المتعطشين إلى يوم الثأر، فإذا بهم يهبون إلى نجدتها مخضبين الثرى بدمائهم الزكية، وتتدفق الكنائس من كل حذب وصوب يحدو ركبتها صوت التكبير فتتهدّ قلاع الطغيان ويتجلى صبح الخلاص، وتعود راية الإسلام عالية خفاقة في سماء الأقصى، فليس سوى الجهاد يعيد القدس عزيزة أبية.

وفي قصيدة ((على طريق الفداء)) يعلن الشاعر محمد المنتصر الريسوني ثورته على البغي وانطلاقه نحو الثأر. فيقول^(١):

بمضائي أسحقُ البغـ	سي وأوغاد العناد
من جراحني أزرع المو	ت بأنفـاقِ الفساد
من معاناة الشكـالى	في خيام وبـواد
أصنع العزّ طيوباً	تتفياها بالجلاد
من دمي أنسج نصراً	تلو نصـر في امتداد
والهـي وكتـابي	في الرزايا هو زادي
وعلى درب النبـوا	ت ألاقـي كل عاد
لا أخاف الهول والقر	أن يحـدو للجلاد
هو في الأعماق عزم	وعلى الأدهار هاد

(١) على درب الله: ٤٥-٤٦.

ثم يسجل الشاعر عزمه على الجهاد، ورفضه حياة الذل. قائلاً^(١):

إني صانعٌ مجيدٍ	في سهولٍ ووهادٍ
فلسطينُ تساينُ	صح الأماني في فؤادي
سوف لا أطوي جناحيّ	على ذل الكيـفادِ
كبرياء الجرح أملت	عهداً في كل نـادٍ
يورق الصبحُ بـ (يافا)	من بطولات جهادي

ومن قصيدة أخرى للشاعر نفسه نراه وقد وجّه نداءه إلى أمته محرضاً إياها على الصمود، والتمسك بالقرآن الكريم فهو الصباح المرتجى والهادي إلى المعالي يقول^(٢):

يا أمي قرأتك الهادي تشدّ	ك للمعالي الخالدات ذخائرُ
تطلعين إلى الصباح المرتجى	وصباحك الوردِي غرْد طائرُ
ثوري فأولى القبلتين ومربع الـ	عزّ الأثيل غدا الشُّرودُ يساورُ
مسرى النبي محمد سبحان من	أسرى به ليلاً تفواح عاطرُ
نار الجراح يصيحُ يصرخُ غاضباً	أين المكارم والإبا ومفاخرُ
إن الجهاد طريقنا نحو السنا	حيث العلا الأبديّ يورق ناضرُ
نُرسى به فوق البسيطة منهج الـ	إسلام نُعتقُ من تقمّ ناظرُ
فإذا الحياة مواكبُ الأعراس تنـ	شر ظلّها أمناً تجود مواطرُ

(١) على درب الله: ٤٦.

(٢) مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٩٢.

ويهيب الشاعر محمد التهامي بأبناء الإسلام أن يمضوا إلى الجهاد، وينفضوا عنهم غبار الدعة والاستخذاء، فالمكارم لا يطلبها النائمون. يقول^(١):

داعي الجهاد دعا الغداة جموعكم فتهيؤوا واستنفروا النواما
وتخبروا للموت كل وسيلة ضلّ الذي حسب الجهاد كلاما
يا غارس الأوهام حسبك جانبا أن تحصد الأضغاث والأوهاما
إن الذي طلب المكارم نائما وجد المكارم كلّها أحلاما

ويندد الشاعر بالمتقاعسين عن الجهاد خورا وانحراما. فيقول^(٢):

يا نائما إن الجهاد فريضة فوق الدرائض كلّها تتسامي
إن صمت أو صليت غير مجاهد فت الصلاة وما كسبت صياما
إن لم يقم للحق شعب مؤمن جعل الشهادة في الجهاد مراما
أكلوه وهو على المذلة نائم ورموه في عرض الطريق خطاما

ويدعو الشاعر محمد نبيل الأصباشي إلى نبذ حياة الدعة والراحة وسلوك طريق الجنان، طريق الجهاد في سبيل الله. وذلك في قوله^(٣):

خلّ عنك الهوى وغنّج الحرائر والتمس للوغي سبيل المخاطر
والتمس للجنان رفرف عدن سندسي الرياض زاهي الأزاهر
واهجر العازفات لحن التصابي إن لحن الأحرار عزف البواتر
وصليل السيوف أعذب وقعا من غناء المخدّرات الحرائر
يأثكل الأقصى ينادي وحيدا مستغيثا ولات حين مناصر

(١) أنا مسلم: ٤١-٤٢.

(٢) أنا مسلم: ٤٢.

(٣) لحن الجراح: ٨٨-٨٩.

ويعقد الشاعر مقارنة بين ماضي الأمة الزاخر بالأعجاد وبين حاضرها المترع بالنكبات، علّ هذا يوقظ الحمية والغيرة ويحفز الأحفاد على المضي على إثر الأجداد. يقول^(١):

أين ذاك الفتى سليل بني آي—	سوب يزهو بزاحفات العساكر؟
أين بيرسُ والفوارسُ تندا	حُ سراعاً وعاصفُ الموت هادر؟
ما لتلك الأعجاد غاضت فأضحّت	يوم بادت كأنها طيفُ خاطر؟
إيه يا ((قدس)) لم يعد سيفنا اليو	م فرياً وكان بالأمسِ باتر
لم يعد سيفنا يصدّ الأعادي	بالمنايا وكان للموتِ قاهر
لم يعد ينشد العلا وقديماً	كان يهوى العلا ويشدو المآثر
إيه يا قدسُ شيعي حتفَ قومي	واعزفي يا جراحُ نرفَ الضمائر

تلك هي أبرز النماذج التي تقفنا على معاني العزة والإباء لدى الجندي المسلم الثائر على الظلم، الحريص على الشرف والكرامة، والذي يعد الثأر غايته وواجبه. فيتحدى كل مشقة، ويأنف المذلة والاستسلام ليحيا الحياة الحقيقية ويتخلص من براثن الطغيان وما فيه من إهدار لأدمية الإنسان. فكانت هذه المعاني التي تكررت على ألسنة الشعراء مستوحاة من القيم والمثل الإسلامية.

ومن اللافت للنظر حرص الشعراء على التغني بالأعجاد الماضية وإحيائها لبلورة الشخصية وحفز أبناء الأمة على إرجاع العزّ السالف والسير من جديد في ركب الحضارة الإنسانية الراقية، واستلهم الانتصارات خطةً للعمل المقبل^(٢).

(١) المرجع نفسه: ٨٩-٩٠.

(٢) انظر الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية: ٧٩-١٧٦.

كانت هذه المحاور الثلاثة هي أهم ما دار حوله إبداع الشعراء في هذه المدة (١٩٦٧م-١٩٨٧م). فقد اضطلعوا بدورهم في تعبئة الأمة للوقوف في وجه العدوان ومقاومة المحتل الغاصب بكل وسيلة. فألقوا الضوء على مكانة هذه البقعة من الأرض، وكشفوا خطر اليهود وتاريخهم الأسود، ثم رفعوا صوتهم محرضين على الثورة والصمود في كلمات تنضح بالمشاعر الحماسية الحارة. فكانت الانتفاضة (١٩٨٧م) باكورة ثمار هذه الدعوة الوجدانية الحماسية، وكانت إشرقة شعر الانتفاضة بسماته المتميزة، مما سنينه -إن شاء الله- فيما يأتي من صفحات.